

(١)

التعليم ضرورة شرعية ووطنية

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

فقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً بالغاً ، فجعله حياة للقلوب ونوراً للعقول ، به تبنى الأمم والحضارات ، وبه يرتفع شأن البلاد والعباد ، وبه يقضى على التخلف والجهل .

وإن التعليم الذي نريده هو التعليم الجاد الذي يرقى بالفرد والمجتمع ، وينهض بالدول والأمم ، ويحقق لأبنائها أسباب التقدم والرفي ، فقد دعا الإسلام إلى العلم ، وحثَّ عليه ورغب فيه ، وبين مكانة أهله وأعلى من قدرهم ؛ حيث بدأت رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) بالأمر به في قوله تعالى : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ، ويقول الحق سبحانه : { هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ } .

ولبيان منزلة العلم ومكانته وأهميته قدمه النبي (صلى الله عليه وسلم) على العمل في قوله : (وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ) .

(٢)

وقد رَغِبَ النبي (صلى الله عليه وسلم) في طلب العلم، فقال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَتَعَرَّقُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ).

والعلم الذي فرض الإسلام تحصيله هو كل علم يأخذ بأيدينا إلى الفهم الصحيح لديننا والرفي بأخلاقنا ، وإلى التقدم في جميع مجالات الحياة ويعلي من شأن الأمة والمجتمع ؛ لذا قال نبينا (صلى الله عليه وسلم): (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً) فجاءت كلمة (علماً) نكرة لتفيد العموم وتشمل جميع أنواع العلم.

ومن ثمَّ فَإِنَّ النهوضَ بالتعليم والعمل على تطويره ضرورة شرعية ووطنية ، فإذا أردنا أن نعيد للأمة مجدها ومكانتها، فلنعط العلم والتعليم حقه ، ونعمل على توفير المناخ المناسب والمتطلبات الضرورية للنهوض به ؛ سبيلاً للتقدم ، ورفعاً للوطن ، على أن ذلك كله إنما هو مسؤولية مشتركة بين الأسرة والمدرسة والمعلم والمجتمع بمثقفيه ومؤسساته الرسمية والأهلية.

أما عن دور الأسرة في النهوض بالتعليم فلا شك أن لها دوراً كبيراً في النهوض بالتعليم بتحمل المسؤولية وغرس القيم التربوية ، والسلوكية في الأبناء ، والحرص على التعليم الجاد النافع لا مجرد تخطي

(٣)

السنوات أو الحصول على الشهادات حتى لو كان ذلك بطرق غير مشروعة ، دون أن تدري بعض الأسر التي قد تشجع أبناءها على الغش أو التفلت الدراسي أنها تدمر أخلاقهم وسلوكهم ومستقبلهم في آن واحد ، فالأسرة هي الركيزة الأولى في تكوين شخصية الإنسان منذ صغره ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الإِمَامُ رَاعٍ ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .).

ولقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من التهاون والتقصير في حق الأبناء بما يصدر للمجتمع عضواً غير فاعل ولا منتج ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ).

وحتى تُنتج الأسرة جيلاً يُعتمد به ويُعتمد عليه ، فلا بد وأن تهيب له المناخ المناسب للتعليم وتحصيل العلوم والمعارف ، والتفوق الدراسي، وتنمية القدرات والمهارات .

وأما المدرسة فيأتي دورها متسقاً مع دور الأسرة ومكملاً لها ، فهي ليست مجرد مبنى يضم بعض الطلاب والمعلمين ، بل هي في حقيقة

(٤)

أمرها مؤسسة اجتماعية وتربوية وتعليمية ، فهي مدرسة مبنى ومعنى بكل ما تحتويه الكلمة من معانٍ ؛ حيث تقوم بتنشئة الأجيال في مراحل التعليم المختلفة ، ليس على العلم وحده ، بل على العلم مع غرس القيم والأخلاق والسلوك ، فالمدرسة نظام ، والمدرسة تربية وثقافة، والمدرسة وعي وحضارة.

على أن هذه المعاني السامية يمكن أن تضيع إذا تحول التعليم من مساره الفكري والتربوي إلى مجرد حشو وتلقين.

وأما عن دور المناهج التعليمية في النهوض بالتعليم وإصلاحه فلا شك أن لها دورًا عظيمًا في تشكيل عقلية النشء وثقافته الواسعة في شتى العلوم والفنون والمهارات والآداب ، ومن هنا تأتي أهمية التحديث الدائم للمناهج بما يواكب روح العصر ومستجداته ويهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع ، بما تشتمل عليه من المفاهيم والمبادئ والقيم العامة والعلوم والمعارف الأساسية التي تنتج طالبًا نافعًا لنفسه ومجتمعه ووطنه ، كما يجب أن تهدف المناهج إلى تقويم الجانب السلوكي والأخلاقي والفكري والمهاري لدى النشء والشباب ؛ وقاية من الأفكار الهدامة والدعوات المضللة.

وأما عن المعلم فهو صاحب رسالة مقدسة ، يقوم من خلالها بتربية الأجيال ، ونشر المعارف والعلوم ، فهو رائد الفكر، وورث الأنبياء ،

(٥)

حيث قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، وَرَثُوا الْعِلْمَ).

فالمعلم قدوة لطلابه ينبغي أن يكون حسن الخلق، منضبطاً في قوله وفعله ، وأن يهتم بطلابه سلوكياً ، وفكرياً ، وثقافياً ، فقد روي عن عمر (رضي الله عنه) قال: (تفقهوا قبل أن تُسودُوا)، وعليه أن يعلم طلابه معنى الانضباط والنظام وأهميتهما في تحصيل العلم حتى يحقق العلم غايته ، وأن يجتهد في أدائه رسالته العلمية والمهنية على الوجه الأكمل ، هذا هو المعلم الذي يقول في شأنه شاعر العربية الكبير أحمد شوقي:

قُمْ لِلْمَعْلَمِ وَفِيهِ التَّبْجِيلَا *** كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا
وَلَأَنَّ التَّعْلِيمَ ضَرُورَةٌ شَرْعِيَّةٌ وَوَطْنِيَّةٌ ، فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَعَاوُنِ
مُؤَسَّسِي ، فليس الأمر مقتصرًا على الأسرة والمدرسة فحسب بل هو
مسئولية مجتمعية متكاملة أن يكون للمجتمع المدني ورجال الأعمال
الوطنيين المخلصين دور هام في ذلك .

ومن بين الأدوار التي يسهم بها المجتمع المدني في نهضة التعليم:
الإسهام في بناء المدارس وصيانتها ، ومساعدة الطلاب الفقراء مادياً
 واجتماعياً وعلمياً ، وخاصة في المناطق الأكثر فقراً والأشد احتياجاً .
فالمجتمع المدني الواعي هو الذي يسير بأجهزته ومؤسساته
المختلفة وعلمائه ومثقفيه في اتجاه صناعة النهضة العلمية ؛ ليخرج

(٦)

أجيالاً تجمع العلوم والمعارف بطرق شتى وصحيحة ، تسهم في صناعة
مجد الأمة ورفيها ، وقد أكدنا وما زلنا نوكد أن نهضة التعليم ضرورة
شرعية ووطنية ، وأن الإسهام في بناء المدارس وصيانتها ورعاية الطلاب
الفقراء أولى مائة مرة ومرة من تكرار الحج والعمرة ، وفقه الأولويات
يجعل الإنفاق على التعليم والصحة في مقدمة أبواب الخير وأولى
الولويات التي ينبغي الإنفاق عليها والتصدق أو التبرع لها ، كما أن رعاية
النوابغ والطلاب الفقراء تعد من فروض الكفايات ، لأننا لا يمكن أن
نرقى بمجتمعنا إلا بالقضاء على الثالث المدمر الجهل والفقر والمرض ،
ولا شك أن القضاء على الجهل إنما هو أهم مفتاح للقضاء على الفقر
والمرض ، يقول الشاعر :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم *** لم بين ملك على جهل وإقلال
مع تقديم العلم على المال

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا
محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .
من أجل النهوض بالعملية التعليمية فلا بد من ثقافة المراقبة وتربية
الضمير للقضاء على جميع الظواهر السلبية ومنها ظاهرة الغش ؛ حتى

(٧)

نؤسس أجيالاً تحمل راية التعليم ، والعمل ، والقيادة بأمانة وصدق ؛
لأنها لم تعرف للغش سبيلاً ، ولم يعرف الغش إليها سبيلاً ؛ لأنه داء قاتل
للفرد والمجتمع ويكفي أن نذكر بحديث نبينا (صلى الله عليه وسلم)
(مَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا) كما أن هناك أمراً يجب التنبه له وهو أهمية
الانتظام في اليوم الدراسي فالانضباط المدرسي يعني إلى حد كبير
الانضباط السلوكي والقدرة على التكيف مع سوق العمل بعد ذلك ،
وأن التفلت عن الدراسة يُعدُّ في الغالب الأعم انحرافاً عن السلوك
القيومي ، وعدم تهيئة الشخص التهيئة المناسبة للعمل الجماعي .
إنها رسالة نوجهها لكل من يسعى لتحقيق الخير لوطنه وأمتة :
احرصوا على نهضة التعليم وجودته ، فبذلك ينهض المجتمع ويرقى
إلى مصاف الدول المتقدمة ، وبدون ذلك لن نتمكن من الوصول إلى
الغايات أو تحقيق الرخاء .
نسأل الله (عزَّوجلَّ) أن يرزقنا علماً نافعاً وقلباً خاشعاً وعملاً متقبلاً
وشفاءً من كل داء.